

من قواعد التحقيق العلمي

توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه

بقلم
هــــلال ناجــــي
الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨

كان العلامة عبدالسلام محمد هارون رائداً في تقعيد قواعد « تحقيق النصوص ونشرها » لم يسبقه أحد من العرب ـ فيما أعلم ـ إذ صدرت الطبعة الاولى من كتابه هذا سنة ١٩٥٤ .

وكان الفقيد قد اشار في مقدمة طبعته الاولى هذه الى محاضرات المستشرق الالماني برجستراسر بكلية الآداب المصرية ، وذكر انه لم يوفق الى الاطلاع على شيء منها .

وبالفعل فان هذه المحاضرات(١) لم تصافح عيون القراء إلّا عام ١٩٦٩ حين أعدها وقدم لها الدكتور محمد حمدي البكري ونشرها بعنوان « اصول نقد النصوص ونشر الكتب » .

ان فقيدنا الجليل قد تناول موضوع « تحقيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه » في كتابه المشار اليه بصورة مختصرة(٢) ، كما افرد فقرة في محاضرته القيمة المعنونة « تجربتي مع التراث العربي » لموضوع « تصحيح نسبة الكتب الى مؤلفيها »(٣) وهي مما يندرج في باب « تحقيق اسم المؤلف » .

وقد رأيت ان أصل حبلي بحبله ، وأن أفصّل الحديث في هذا الموضوع من خلال تجربتي وما وقفت عليه ، وأن أصنع من هذا كله باقة أضعها بتواضع عند قبره وهو يرقد رقدته الابدية ـ رحمه الله ـ تعبيراً عن عظيم تقديري لجهوده الخالدة في احياء التراث العربي وتأصيل قواعد نشره .

ان عنوان المخطوط قد يكون مفقوداً أو منظماً أو مزيّفاً . وقد يكون المخطوط غفلاً من اسم المؤلف ، أو منسوبا لغير مؤلفه .

×

وكنت حين عقدت النية على تحقيق ألفية الآثاري في الخط قد وُفّقتُ الى الحصول على ثلاث مخطوطات منها ، فالنسخة التي اتخذتها أمّا وهي نسخة السيد حسن حسني عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ كانت خالية من عنوان المخطوطة واسم ناظمها معاً .

وكانت مخطوطة العطارين بتونس منسوبة لمؤلفها ولكنها زائفة العنوان ، ابتكر لها الناسخ عنواناً من عنده هو : « سبيل الدراية في علوم الخط وفنون البراية » .

وخلت المخطوطة الثالثة وهي مخطوطة جامعة برنستون من العنوان ايضاً ، ولكنها نسبت لمؤلفها الحقيقي .

فعنوان المخطوط كان مفقوداً في النسخ الثلاث ، لكنني بعد التنقير عنه ظفرت به في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي الذي أورد عنوانها وهو « العناية الربانية في الطريقة الشعبانية »(٤) وأشاد بها في قوله : ان الآثاري لم يسبق الى مثلها ، ثم أورد بعض آراء الآثاري في الخط منثورة نقلًا عن الالفية في ثلاثة عشر موضعاً .

وقد عزز ما تقدم بيت في الالفية نصه :

فـاغز بهـا يـا طـالب « العنـايـه »
مــا زينة الـراوي سـوى الـدرايـه

هذا بالاضافة الى ان مصنف الالفية قد نص على اسمه في متنها بقوله :

واعطف وقـــل بـالفضـل والاحسـان
يــا ربّ جد بـالعفو عن « شعبـان »

واذكر انني حين تصديت لنشر كتاب « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب »(٥) لمؤلفها عبدالرحمن بن يوسف ابن الصائغ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ كانت بحوزتي اربع مخطوطات من هذا الكتاب أقدمها مخطوطة دار الكتب الوطنية في تونس واصلها مفقود وكانت على ميكروفلم مخرومة الوسط ، وكانت غفلًا من العنوان ومن اسم المؤلف ، وقد كتب على الورقة الاولى ما نصه « رسالة في علم الكتابة » .

أمّا المخطوطة التيمورية فقد كتب على الورقة الاولى منها « رسالة في الخط وبري القلم » لابن الصائغ .

وكانت مخطوطة السيد حسن حسني عبدالوهاب غفلًا من العنوان ومن اسم المؤلف .

وأمّا المخطوطة الرابعة وهي مخطوطة دار الكتب المصرية فقد كان عنوانها « كتاب فيه صناعة الكتابة » تاليف الشيخ عبدالرحمن ابن الصائغ .

وقد اضيف الى اعلاها وبخط مغاير عبارة « كتاب تحفة اولي الالباب » .

المخطوطات الاربع كانت غفلًا من العنوان . غير اني جزمت به مستنداً الى ما ورد في ايضاح المكنون ١ / ٢٤٣ من وجود نسخة من « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » تاليف عبدالرحمن بن الصائغ في دار الكتب العمومية وهو دليل يؤكد عنوان المخطوط . ولانه

ليس لابن الصائغ كتاب في الخط غير « تحفة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب » كما نص على ذلك مترجموه .

×

ومن الكتب المخطوطة التي نشرت بعنوان مغلوط منسوبة لغير مؤلفيها الكتاب المعنون « نقد النثر » المنسوب لقدامة بن جعفر والذي حققه ونشره الدكتوران طه حسين وعبدالحميد العبادي معتمدين على نسخة الاسكوريال الناقصة ، وطبع مرات بهذا الاسم المغلوط والنسبة المغلوطة .

ثم لمّا ظفر الدكتور علي حسن عبدالقادر بمخطوطة كاملة من الكتاب في مكتبة جستر بتي في دبلن بارلندة ، صحح خطأ شاع سنين طويلة ، فاذا عنوان الكتاب الحقيقي « البرهان في وجوه البيان » واسم مؤلفه اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وبعنوانه الصحيح هذا وبنسبته الصحيحة الى مؤلفه الحقيقي طبع الكتاب في بغداد ثم طبع في القاهرة[6] .

وتواجه المحقق صعوبة بالغة حين تكون المخطوطة فريدة من جهة ، وغفلاً من عنوانها واسم مؤلفها من جهة اخرى .

فلا بُدّ آنذاك من البحث عن الدليل العقلي والدليل النقلي لاثبات عنوان المخطوط الضائع واسم مؤلفه المجهول .

ففي دار الكتب المصرية مخطوط فريد محفوظ برقم ٢٢٨١ ـ تاريخ تيمور ، فقدت منه صفحة عنوانه ، والصفحة الاولى من خطبة مؤلفه ، فضاع بذلك عنوان الكتاب واسم مؤلفه معاً . وقد وهم بعض مفهرسي دار الكتب فسمّوا الكتاب « تراجم الشعراء » ونحلوه الى الثعالبي .

ان دراسة النص من الداخل كانت تنفي نسبة الكتاب الى الثعالبي ، فقد ورد في المخطوط شعر لابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ، والثعالبي توفي سنة ٤٢٩ هـ . وفيه شعر في مدح عائلة الدوامي وهي اسرة اشتهرت في اواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين .

ووردت في النص عبارة تدل على انه صنف أيام المستنصر بالله العباسي الذي ولي الخلافة سنة ٦٢٣ هـ وهي : « وأنا أقول : قاتله الله ، لو شاهد هذه الايام المستنصرية » فلا وجه اذن لنسبة هذا المخطوط الى الثعالبي ، فهو مصنف بعد وفاته بقرنين . وبدأت رحلة محقق الكتاب الاستاذ شاكر العاشور وراء اسم المخطوط واسم مصنفه التي استمرت عشر سنين وانتهت بالتوفيق والنجاح التامين .

لقد وجد المحقق في المخطوط اشعاراً نسبها المصنف الى نفسه مدح بها بعض خلفاء بني العباس ، وقد ازال بعض العابثين اسم الممدوح .

وقد ظفر المحقق المذكور بعض تلك القصائد في مخطوطة ديوان ابي المجد اسعد بن ابراهيم بن الحسن بن علي الاربلي ، مما مدح به الخليفة المستنصر بالله العباسي وهي مخطوطة أصلها في الظاهرية ومصورتها في المجمع العلمي ببغداد . وهكذا توصل الى اسم مصنف المخطوط . وبقي أمر الغوص في مظان ترجمته بحثاً عن « عنوان المخطوط » ومن خلال رحلة المحقق المضنية هذه وقف عن كتاب « تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي وفيه ترجمة لمجتني المروءة عبدالله بن أحمد الحنفي » ورد فيها ما نصه : « ذكره شيخنا الصدر العالم مجد الدين أسعد بن ابراهيم النشّابي الاربلي في كتاب « المذاكرة في ألقاب الشعراء » وقال : كان عبدالله بن أحمد الحنفي يلقّب مجتني المروءة ، وكان صديقاً لعبدالله بن المقفع . ولقّب مجتني المروءة لكثرة ذكره المروءة ، فحق ذلك قوله :

لا تحسبنّ أنّ المرو
ءة مطعمٌ ، أو شرب كاس
أو في الولاية والموا
كب ، وللمراكب ، واللباس
لكنّها كرمُ الفرو
ع ، زكتْ على كرم الغراس » .

وهذا النص منقول من المخطوطة الفاقدة العنوان ، وبالظفر به توصل المحقق بشكل قاطع الى اسم المخطوط وهو « المذاكرة في القاب الشعراء »[7] .

مثل هذا العناء عانته الدكتورة وداد القاضي حين وقفت أمام مصورة مخطوطة محفوظة في مكتبة كوبريللي بالاستانة عنوانها جواهر الحكم ورقمها ١٢٣٤ تم نسخها سنة ٥٩٧ هـ .

فقد وجدت ان صفحة العنوان كتب عليها بخط واضح « كتاب النوابغ والحكم للزمخشري رحمه الله تعالى آمين » . بينما جاء على ظهر الورقة نفسها ما يلي : « قال بديع الزمان الهمذاني رحمه الله تعالى برحمته وأسكنه اعلى فسيح جنته بمنّه وكرمه » . الى أن يقول في الصفحة ذاتها : « فهذا كتاب لقبته « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » ..

فالمخطوطة تنسب مرة للزمخشري وثانية لبديع الزمان الهمذاني ، واسمها على صفحة العنوان « النوابغ والحكم » . واسمها في داخل النص « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » . وقد اكتشفت المحققة ان خط الصفحتين الاولى والثانية مختلف عن خط سائر المخطوطة ، فجزمت بأن الورقة الاولى دخيلة على الكتاب دون ريب . وتساءلت هل يمكن أن تكون المخطوطة من تاليف الزمخشري ، فنفت ذلك لاسباب عدة من بينها ان المؤلف يتحدث عن أناس لقيهم وعن أمور شاهدها في القرن الرابع الهجري ، والزمخشري توفي سنة ٥٣٨ هـ . ولان المخطوطة تعج بالهجوم على المتكلمين ، وخاصة المعتزلة ، ومثل هذا لا يمكن أن يصدر عن الزمخشري وهو معتزلي . ثم ناقشت المحققة مدى صلة هذا المخطوط ببديع الزمان وبكتاب منسوب اليه اسمه « جواهر الحكم ونوابغ الكلم » فجزمتْ بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يصنفه بديع الزمان لان مؤلفه يتحدث عن أمور شاهدها سنة ٣٤٢ هـ . ولم يكن بديع الزمان قد ولد حينئذ .

وهكذا وجدت نفسها أمام مخطوط مجهول العنوان ، مجهول اسم المؤلف .

ولغرض التوصل الى مؤلف الكتاب فانها درست النص من الداخل دراسة واعية متأملة بهدف تحديد الزمان الذي عاش فيه والمكان الذي تحرك خلاله ، والاشخاص الذين درس عليهم أو قابلهم ، ومواقفه منهم ، ثم الركائز الفكرية التي اعتمدها في الحقول العلمية المختلفة كالدين والفلسفة والكلام والاخلاق ، فضلاً عن الاوضاع الاجتماعية والنفسية التي كان يعبّر عنها ، والمشكلات الشديدة الظهور في ادبه ، وانواع نشاطه الادبي ، فانتهت من ذلك كله الى أن هذا الكتاب المجهول هو من تصنيف ابي حيان التوحيدي ، وانه جزء من كتاب اكبر منه .

ان هذه الادلة كانت تمثل الدليل العقلي ، وهي لوحدها غير كافية لتاكيد نسبة الكتاب الى « التوحيدي » ما لم تعزز بالدليل النقلي . وقد كان لها ذلك حين وقفت الى مخطوطة كتاب رحلة قطب الدين النهروالي المتوفى سنة ٩٢٠ هـ . فوجدت النهروالي فيها ينقل في مواضع كثيرة عن كتاب « بصائر الحكماء وذخائر القدماء لابي حيّان التوحيدي » وان ما ينيف على عشرين نقلاً من البصائر قد وردت في المخطوطة المجهولة التي كانت تحاول تحقيق عنوانها ونسبتها .

وهكذا تظافر الدليل النقلي مع الدليل العقلي في اثبات ان هذه المخطوطة هي جزء من كتاب « البصائر والذخائر » لابي حيان التوحيدي[8] .

شبيه بهذا مخطوطة ظفر بها العالم الجليل الشيخ حمد الجاسر في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا . كانت غفلاً من اسمها ومن اسم المؤلف ، وقد استرعت اهتمام الشيخ لان مصنفها اورد نصوصاً لغوية عن قدماء علماء اللغة ومقطوعات شعرية لشعراء متقدمين ، واخبار وحكم وامثال ، قلّ أن يعنى بها من ليس من جلة العلماء . ومن خلال استقراء النص توصل الى انّ مصنفها عاش في شرق البلاد الاسلامية في القرن الخامس الهجري . توصل الى ذلك من خلال شيوخه اللذين أخذ عنهم . وكان مصنف المخطوطة قد ذكر من اجداده اسحاق بن أبي العباس الاموي ، مما أكد انتسابه الى بني امية . كما ذكر من مصنفاته « الدرة الثمينة » و « الفيصل » و « تلو الحماسة » و « منية الاديب » .

وفي ضوء ما تقدم من حقائق استطاع الشيخ حمد التوصل الى مصنف المخطوطة وهو الشاعر المشهور محمد بن احمد الابيوردي ، الذي عدّ ياقوت في معجم الادباء كتاب « الدرة الثمينة » من مصنفاته . وتاكد ذلك أيضاً بما ورد في مخطوطة « زاد الرفاق » ـ وهي من مؤلفات الابيوردي المحفوظة بدار الكتب المصرية ـ إذ ورد فيها قول الابيوردي في اثناء الكلام على حماسة ابي تمام : ...وتقفيت اثره في انتقاء ما يضاهيها من أشعار المحدثين ، ووسمت الاوراق المشتملة عليها بـ : « تلو الحماسة » . عزز هذا كله ما عُرف به الابيوردي من اهتمام باللغة إذ اجمع ياقوت والذهبي والسيوطي على انه له في اللغة مصنفات لم يسبق اليها . وهكذا توصل الشيخ الجاسر الى اسم المصنف وإن لم يستطع إماطة اللثام عن اسم المخطوطة .

ومن المخطوطات التي زُيّف عنوانها واسم مؤلفها ، مخطوطة في دار الكتب الوطنية في تونس تحمل رقم ٣٧٤٥ عنوانها « كتاب ري الظما في من قال الشعر من الإما » تاليف ابي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي .

وحين قام الدكتور جليل العطية بفحص المخطوطة ودراستها من الداخل انتهى الى انها لا يمكن أن تكون من تصنيف ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . لانّ مصنفها ينقل عن رواة عاصرهم توفوا في القرن الرابع الهجري ومنهم : محمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩ هـ) وعلي بن سليمان (ت ٣١٥ هـ) وجعفر بن قدامة (ت ٣١٩ هـ) وجحظه (ت ٣٢٤ هـ) .

ومن المستحيل على ابن الجوزي سماع اشخاص توفوا قبله بنحو قرنين . ثم ان المصنف أشار في مخطوطته هذه الى كتاب آخر له يدعى « القيان » وهو من مصنفات ابي الفرج الاصفهاني الشهيرة .

وبالاضافة الى هذا فانه روى كثيراً من اخباره عن عم له يدعى الحسن بن محمد ، والحسن هذا عم ابي الفرج الاصفهاني ـ كما تذكر المصادر ـ (انظر نقط العروس لابن حزم ص ١١٢) .

ثم ان المصادر التاريخية وكتب الطبقات تذكر لابي الفرج الاصفهاني كتاباً باسم « الاماء الشواعر » وهذا ينطبق مع مادة المخطوطة انطباقاً تاماً .

وقد انتهى محقق الكتاب[9] من هذا كله الى ان عنوان المخطوطة الصحيح هو « الاماء الشواعر » وان مصنفها الحقيقي هو ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفيها مخطوطة « توشيع التوشيح » . فقد نسب الكتاب في الصفحة الاولى من المخطوطة الى محمد بن عساكر .

ومحمد بن عساكر هذا هو ناسخ المخطوطة وليس مصنفها .

ان هذا الكتاب في الاصل يضم مجموعة من الموشحات الاندلسية والمغربية والمشرقية مع معارضاتها التي نظمها مصنف المخطوط .

وقد استطاع محقق الكتاب العثور على بعض هذه المعارضات في كتب اخرى منسوبة الى الصفدي ، فصحّت نسبة الكتاب اليه[10] .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مصنفيها مخطوطة جوتنجن من كتاب « الموفقيات » فقد كتب على ورقة العنوان ما نصه :

الموفقيات لابي عبدالله الكاتب الدمشقي

ولكنّ مخطوطة باش اعيان العباسيين بالبصرة من الكتاب ذاته صححت هذا الوهم حين نسبت المخطوطة الى الزبير بن بكار .

وقد طبع الكتاب بعنوان « الاخبار الموفقيات »[11] . واعتقد ان الاصوب في تسميته ، « كتاب الموفقيات في الاخبار » على ما ذكر ابن النديم في الفهرست . أو « الموفقيات في الاخبار والاشعار » على ما ذكر ابن خير الاشبيلي .

ومن المخطوطات النادرة التي حققناها مخطوطة محفوظة في مكتبة نور عثمانية بالاستانة وعليها رقمان رقم قديم هو ٣٧٤٥ ورقم حديث هو ٣٢٢٤ . والمخطوطة غفل من اسمها واسم مؤلفها ، وغفل من تاريخ نسخها واسم ناسخها وهي من موقوفات السلطان عثمان خان بن السلطان مصطفى خان .

ولتمرسنا باسلوب ضياء الدين ابن الاثير والمامنا بدقائق حياته ، فقد جزمنا بأنها جزء من رسائله بالادلة الآتية :

١ - ان استقراء مناسبات هذه الرسائل يرسم لنا صورة للحياة السياسية والادبية التي عاشها ضياء الدين ابن الاثير ، وهي صورة لا تختلط بغيرها من حيث الشخوص والاحداث وتقطع بنسبة هذه الرسائل اليه .

٢ - قال ابن خلكان في ترجمة ضياء الدين ابن الاثير في وفيات الاعيان ٥ / ٣٩١ ما مثاله : « وله في كيفية خروجه مستخفياً رسالة طويلة ، شرح فيها حاله . وهي موجودة في ديوان رسائله » .

وأقول : ان هذه الرسالة موجودة في كتابنا هذا تحت رقم (٣٨) ، وهي من أوثق الادلة على ان المخطوطة المجهولة هي جزء من ديوان رسائله .

٣ - ومما عزز نسبة المخطوطة لضياء الدين ابن الاثير ، الرسالة المرقمة (٣٩) - بحسب ترقيمنا - ، فقد صدرها بقوله : « كتاب كتبه في المعنى الى أخيه الاكبر مجد الدين أبقاه الله تعالى » .

فمعلوم ان المحدث الكبير مجد الدين المبارك هو الاخ الاكبر لضياء الدين ابن الاثير .

٤ - ومن الادلة القاطعة ان نقولاً من هذه الرسائل قد اثبتها ابن الاثير في بعض مصنفاته وعزاها لنفسه صراحة ، ومن ذلك القطعة الواردة في الرسالة رقم ٥٦ والتي اولها : « ولكنها الايام التي تبدي لنا من جورها كلّ غريبة ... » فهذه القطعة اوردها ابن الاثير في المثل السائر ١ / ١٩٦ ونسبها لنفسه ، وصدرها بقوله : ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب أنم فيه الزمان ، ثم اورد النص المتقدم .

٥ - ومن ذلك ان ابن الاثير اورد في المثل السائر ١ / ٣٦٧ قطعة من رسالة كتبها الى الملك الافضل يهنيه بملك مصر . وهذه القطعة هي جزء من الرسالة رقم ١٩ من مخطوطتنا المجهولة .

٦ - ان المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ابن الفرات قد اثبت في الجزء الثاني من المجلد الرابع ص ١٧٤ - ١٧٥ من تاريخه ، قطعة من رسالة كتبها ابن الاثير الى بعض اخوانه . وهذه القطعة على ما شابها من تصحيف وتحريف هي بعض من الرسالة المرقمة ٣٨ من مخطوطتنا المجهولة . وقد عزز نسبتها الى ابن الاثير ان ابن واصل في كتابه « مفرج الكروب » ٣ / ١١٢ أوردها منسوبة الى ابن الاثير .

وهكذا تظافرت الادلة لتقطع كل شك وترد كل شبهة في صحة نسبة هذه الرسائل لضياء الدين ابن الاثير ، وفي انها جزء من ديوان رسائله الذي قال عنه ابن خلكان انه في عدة مجلدات[2] .

وقد يعتري المخطوط تغيير في عنوانه من صُنع محققه ، كما حدث لكتاب « الوسائل الى معرفة الاوائل » لعبدالرحمن السيوطي ، الذي نشره المرحوم محمد اسعد طلس في بغداد عام ١٩٥٠ بعنوان « الوسائل الى مسامرة الاوائل » خلافاً لما نص عليه السيوطي في مقدمته . ثم أعاد نشره الدكتوران ابراهيم العدوي وعلي محمد عمر في القاهرة سنة ١٩٨٠ بعنوانه الصحيح[3] .

نظير هذا نشرة المرحوم عبدالعزيز الميمني الراجكوتي لكتاب ابي عمرو الزاهد فقد نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - بعنوان « كتاب المداخلات » والصواب انه « المداخل في اللغة » كما نصّ على ذلك المعري في رسالة الغفران وبالعنوان الصحيح نشره محمد عبدالجواد في القاهرة[4] .

ومن المخطوطات التي وهم بروكلمان وصانع فهرس دار الكتب المصرية بالقاهرة في نسبتها المخطوطة الفريدة المرقمة ١٥٠٠ أدب . فقد أشار بروكلمان في اثناء ترجمة شُميم الحلي الى مخطوطتين من كتابه « الانيس الجليس في التجنيس » احداهما في الموصل والاخرى في القاهرة وهي مخطوطتنا موضوعة الكلام[5] .

وحين قصدت الموصل ووقفت على المخطوطة المذكورة ، وجدت أن لا علاقة لها بشميم الحلي ولا بفن التجنيس ، وانما هي مخطوطة مجهولة المؤلف اغلبها قصص ومواعظ دينية وعنوانها « أنيس الجليس في التجليس » - كذا - وهي في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل . ومصدر الوهم الذي وقع فيه بروكلمان ، اعتماده على كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي . وحين صوّرت مخطوطة القاهرة اتضح انها تخلو من ذكر مؤلفها ، وان صانع فهرس دار الكتب المصرية توهم ان مصنفها هو شميم الحلي لمّا وجد في المصادر التي ترجمت للاخير من اشارة الى كتاب له عنوانه « أنيس الجليس في التجنيس » ، ولم يلتفت الى الفرق الظاهر بين العنوانين . فمخطوطة دار الكتب تحمل عنوان « الانيس في غرر التجنيس » وكتاب شميم الحلي المفقود كان بعنوان « أنيس الجليس في التجنيس » فشتّان ما هما .

حين انتفت نسبة هذه المخطوطة الى شُميم الحلي بخلوّها من اسمه واختلافها كلياً عن مخطوطة الموصل ، كان عليّ فحص النص من الداخل والغوص في كتب الطبقات والتراجم بحثاً عن مؤلفها . فتضافرت لديّ الادلة الآتية مؤكدة ان الكتاب من تصنيف الامام عبدالملك بن محمد الثعالبي :

١ - ان الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة الوافي بالوفيات - القسم الثاني الورقة ٢٦٩ قد ذكر للثعالبي كتاباً عنوانه « الأنيس في غزل التجنيس » .

٢ - ان ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ في مخطوطة عيون التواريخ الورقة ٤٥٧ ذكر كتاباً للثعالبي عنوانه « الانيس في غزل التجنيس » .

٣ - وذكر ابن قاضي شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ في مخطوطة طبقات النحاة واللغويين كتاباً للثعالبي عنوانه « الانيس في غريب التجنيس » .

وليس يخفى على العارفين بالمخطوطات سهولة تحريف كلمة (غرر) الى غزل أو غريب .

٤ - ان مصنف المخطوطة المصرية يشير في مقدمته الى كتاب آخر له في هذا الفن إذ يقول : « وبعد فان اجناس التجنيس كثيرة ، واقسامها جمّة ، ولهذا الخادم في تعديد اقسامها وايراد امثالها والتنبيه على عيونها وعيوبها ، وغررها وعررها كتاب لطيف يجمع مستوفاها وناقصها ومشاكلها ومماثلها ومشتقها ومركبها ، وغير ذلك مما يطول الكتاب بسياقة ذكره واعادة شرحه ... » . وليس يخفى ان للثعالبي كتاباً آخر عنوانه « أجناس التجنيس » ذكرته المصادر بهذا الاسم ونشره الدكتور ابراهيم السامرائي بعنوان « المتشابه » وهذا دليل آخر يعزز ان المخطوطة للثعالبي .

٥ - تنحاز مقدمات كتب الثعالبي بالآتي :

أ - اهداؤها الى بعض مشاهير عصره ، متخذاً من المقدمة والاهداء سبيلاً لاسباغ المدائح على من أهدي اليه الكتاب ، استجلاباً لرضاه وتقرباً منه ، واستدراراً لعطائه .

ب - انه اعتاد في مقدماته أن يذكر مادة الكتاب ، ويعدد ابوابه بشكل تفصيلي .

وهاتان الميزتان واضحتان تمام الوضوح في مقدمة مخطوطتنا هذه ، مما يعزز نسبتها للثعالبي .

٦ - من خصائص كتب الثعالبي : الاعادة . فهو ينقل نصوصه ومعلوماته من كتاب الى آخر ، ولكنه في هذا النقل وتلك الاعادة يعرضها عرضاً جديداً ، وكثيراً ما يستشهد بالشواهد ذاتها ولكن في مبحث جديد ولغرض جديد . فهو يستخدم النصوص ذاتها استخدامات متعددة في كتب متعددة لاغراض متعددة . وهذه الصفة واضحة في مخطوطتنا هذه . فشواهدها الشعرية تطفح بها كتب الثعالبي ولا سيما « اليتيمة » ، لكنه هناك أوردها في غضون تراجم شعراء معينين كمختارات من اشعارهم ، أمّا هنا فانّ هذه الشواهد ترد لتاكيد غرض من اغراض التجنيسات المركبة التي عقد عليها الكتاب .

٧ - وثمة دليل آخر فان الشعراء الذين استشهد المؤلف باشعارهم هم من الذين ألف الثعالبي الاستشهاد بأشعارهم في مصنفاته ، كالبستي وابي الفضل الميكالي والمطوعي وقابوس بن وشمكير وابن دُوشت وابن مطران والعتبي والرستمي والصاحب بن عباد وسواهم . وليس فيهم شاعر واحد متاخر عن عصر الثعالبي . وهذا دليل داخلي يدعم ان الكتاب من تصنيفه .

وهذا كله انتهى بنا الى تاكيد نسبة الكتاب الى أبي منصور الثعالبي[6] انموذج آخر من المخطوطات المجهولة المصنف واجهت صديقنا الدكتور طارق الجنابي واعني كتاب « ائتلاف النصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة » في مخطوطته الفريدة المحفوظة في مكتبة شهيد علي بالاستانة برقم ٢٣٤٨ . كانت المخطوطة غُفْلا من اسم المؤلف ، واسم الناسخ . غير ان الناسخ ذكر انه فرغ من نساختها سنة ثماني مئة للهجرة . وكان الدكتور احمد صبحي فرات قد نشر بحثاً قيّماً في مجلة المانية عن مؤلف هذه المخطوطة استطاع من خلال النص التوصل الى الحقائق التالية :

١ - ان المصنف عاش في زمن الملك اليمني الاشرف اسماعيل بن العباس (٧٧٨ - ٨٠٣ هـ) الذي تذكر المصادر اهتمامه بالعلم والشعر ، والمصنف خدمه بهذا الكتاب .

٢ - ان كتب التراجم والتواريخ تذكر عدداً من العلماء المقربين من الملك الاشرف من بينهم : عبداللطيف الشرجي (ت ٨٠٢ هـ) وابنه احمد بن عبداللطيف (ت ٨١٢ هـ) .

٣ - ان مؤلف المخطوطة من تلامذة الفيروز آبادي مؤلف القاموس المحيط إذ ذكره في المخطوطة بعبارة : شيخنا .

وقد رجح الدكتور المذكور ان مصنف المخطوطة هو « احمد بن عبداللطيف الشرجي » لأن الزبيدي ذكره في خطبة تاج العروس كواحد من تلامذة الفيروز آبادي الذين قرأوا القاموس المحيط عليه عام ٧٩٧ هـ ، وقد ذكر احمد هذا انه قرأه على المؤلف .

أمّا الدكتور طارق الجنابي فقد رجّح ان مصنف هذه المخطوطة هو « عبداللطيف الشرجي الزبيدي للاسباب الآتية :

١ - ان المترجمين للأب وللابن ، عدّوا للأب كتباً ومصنفات ولم يذكروا لابنه شيئاً من ذلك .

٢ - ان السخاوي في الضوء اللامع عدّ الاب شيخاً للنحاة في عصره بقطره وان الملك الاشرف قرأ عليه بعض تصانيفه ، وان الملك المذكور كان شديد الحفاوة به وقد بالغ في الاحسان اليه . فلا بدع أن يخدمه الاب بهذا الكتاب .

٣ - ان الانتهاء من تصنيف الكتاب وقع سنة ٨٠٠ هـ ، والابن لم يجاوز الثامنة والعشرين من عمره في حين ان عمر الاب ثلاثة وخمسون عاماً ، وهو عمر النضج والشهرة ورسوخ القدم .

وهكذا قرّ عند الدكتور طارق ان المؤلف هو عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي الزبيدي اليماني . لا ابنه احمد بن عبداللطيف[7] .

وفقدان اسم المصنف من المخطوط مشكلة واجهتها وأنا احقق مخطوطة « منهاج الاصابة »[10] فقد كانت المخطوطة فريدة في الدنيا محفوظة بدار الكتب الوطنية في تونس برقم ٧٩٦٩ وورقة العنوان فيها مكتوبة بخط مغاير للنص ، مما يؤكد سقوط ورقة الاصل . لكن ذلك لم يقدح في صحتها إذ ورد عنوان الكتاب في مقدمته حيث قال المؤلف : « ولما رأيتُ هذه الصناعة الشريفة الثناء ، العظيمة السناء ، قد درست معاهدها ، وطمست معالمها ، وفسدت آلاتها ، وتغيرت حالاتها ، عملت هذا الكتاب وسَمَّيْتُهُ « منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة » ليكون تذكرة لي في مدة حياتي ، وأثراً صالحاً بعد مماتي » .

ولقد ثبت لي بالدليل القاطع انّ هذه المخطوطة هي كتاب « منهاج الاصابة » حين ظفرت بنقول منها أوردها القلقشندي في صبح الاعشى في الصحائف ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ من الجزء الثالث ، وكانت هذه النقول جميعها موجودة في مخطوطتنا هذه . لكنّ المخطوطة كانت خُلْواً من اسم المصنف ، فكان سندنا في التوصل اليه ما ذكره الزبيدي في « حكمة الاشراق » من ان محمد بن احمد الزفتاوي قد صنّف في علم الخط كتاب « منهاج الاصابة » وانتفع به أهل مصر . وكان سندنا أيضاً ما ذكره مصنف المخطوط من انه مختصر في قلم الثلث وما ابتُكر منه من الاقلام ، وهو الوصف ذاته الذي وصف به القلقشندي هذا الكتاب .

واذكر انني قرأت على الصحيفة ٣٢٨ من المجلد السادس من مجلة معهد المخطوطات ـ وهو مجلد قديم صدر عام ١٩٦٠ ـ ، خبراً مفاده وجود مصورة فريدة لديهم من (شرح ديوان الحسن بن أسد الفارقي) أصلها في كتابخانة ملي طهران برقم ٢٧٦ .

فاستأثر الخبر باهتمامي لاني كنت آنذاك اصنّف كتاباً عن الحسن بن أسد الفارقي أضمّ اليه ما تناثر من شعره في شتيت المظان ، فبعثت الى المعهد اطلب مصورتها . فلما وردت وفحصتها من الداخل اتضح انها ليست شرحاً لديوان الفارقي ولا ديواناً له . وانما هي نسخة اخرى من كتاب « الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب » للحسن بن أسد الفارقي أيضاً . وهذه النسخة لم يكن قد وقف عليها محقق « الافصاح » الاستاذ الجليل سعيد الافغاني . كما لم يقف على مخطوطة اوقاف بغداد . وقد اعتمد في نشرته الثانية وهي نشرة علمية متقنة صدرت ضمن منشورات جامعة بنغازي سنة ١٩٧٤ على مخطوطات المدينة المنورة وباريس ودار الكتب المصرية[11].

وقد تنبه الاستاذ الفاضل عبدالاله نبهان الحمصي الى خطأ في الجزء الأول من فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية صحيفة ٣٩٩ ـ رقم الكتاب ١٧٧ . إذ ذُكر ان هذا المخطوط هو : (نظم الضوابط النحوية للسخاوي) . وقد توصل الباحث الفاضل الى خطأ ذلك ، وان وجه الصواب فيه ان المخطوطة هي (نظم الفرائد للمهلبي) حيث قورنت المخطوطة بما نقله السيوطي في الاشباه والنظائر النحوية ٢ / ٤٤ عن المهلبي ' .

ومن المخطوطات التي نسبت الى غير مؤلفيها كتاب « الحنين الى الاوطان » فقد نشره اعلام معروفون منسوبا الى الجاحظ . نشره اولاً الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩١٥ . ونشره المستشرق الشهير ريشر ضمن مجموع يضم ٢٩ رسالة من آثار الجاحظ . وهي فيه الرسالة الخامسة والعشرون ـ طبع المجموع في شتوتجارت سنة ١٩٣١ . واعيد نشر طبعة الشيخ طاهر الجزائري في القاهرة سنة ١٩٣٢ . ثم نشر بتحقيق المرحوم الاستاذ عبدالسلام محمد هارون ضمن رسائل الجاحظ ـ الجزء الثاني ص ٢٧٩ ـ ٤١٢ ، في القاهرة[12].

وكان الاستاذ حسن السندوبي قد نفى نسبة هذا الكتاب للجاحظ وقال فيما قاله : من قرأ هذا وقرنه بشيء من كتب الجاحظ أو وازن بينه وبين طريقته في التأليف ، لا يشك مطلقاً في أن الجاحظ منه براء ، وانه من تلفيق الوراقين الذين يجمعون شتى العبارات الى بعضها في كتاب ، ثم ينسبونه الى مؤلف مشهور ليلقى الرواج عند الناس . ومن العجب أن الشيخ طاهر الجزائري ـ رحمه الله ـ وهو الذي وقف على طبعه يخدع به ، ولا يفطن الى ان نسبته الى الجاحظ كذب وافتراء »[13].

وقد صدّر الاستاذ عبدالسلام محمد هارون نشرته في الدفاع عن نسبة الكتاب وردّه الى الجاحظ ، معللاً ذلك بأن الكتاب لا يحمل سمة من السمات التي توحي بأنه ليس من صنع الجاحظ ، فهو جارٍ على طريقته في التأليف ونهجه .... واسلوبه التعبيري لا يُجافي ما عهدناه أيضاً من بيانه ، ومقدمة الكتاب آية على ذلك . كما انه ليس في نصوص الكتاب ، ولا في رجاله ، ولا في حوادثه ما يجاوز زمنه زمان الجاحظ ، وان كثيرا من نصوصه مشتركة بين هذا الكتاب وبين سائر كتب الجاحظ ، وتلك سمة جاحظية معروفة .

ثم انتهى الى القول : فعلى ذلك كله تنتفي الريبة في أن يكون هذا الكتاب منحولاً ، بل هو جاحظي جاحظي[14] .

لقد استطاع صديقنا الدكتور جليل العطية أن يقيم الدليل العلمي القاطع على ان رسالة « الحنين الى الاوطان » التي نشرت عدة مرات منسوبة الى الجاحظ ، ليست له ، وانما هي لمؤلف آخر اسمه (موسى بن عيسى الكسروي) كان معاصرا للجاحظ وشيخاً لمحمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي . ففي غمرة تحقيقه لكتاب (الحنين الى الاوطان) لمحمد بن سهل المذكور على مخطوطتين احداهما في مكتبة جستر بتي بدبلن مكتوبة في القرن الخامس الهجري ، والاخرى في مكتبة أيا صوفيا بالاستانة ، تكشفت له الحقيقة التالية :

١ ـ ان (موسى بن عيسى) قد صنّف كتاباً في (الحنين الى الاوطان) وحدّث تلميذه محمد بن سهل عن سبب تأليفه له .

٢ ـ ان محمد بن سهل تصفح كتاب شيخه المذكور ، فأخذ منه ما استحسنه ، وضم اليه ما فاته وهو كثير ، وبوّبه تبويبا خاصاً ، وقد صرّح بذلك في خطبة الكتاب .

٣ ـ ان النصوص التي اقتبسها (محمد بن سهل) من كتاب شيخه موسى بن عيسى موجودة في رسالة (الحنين الى الاوطان) المنسوبة الى الجاحظ . وهو أمر يقطع بأن الرسالة المذكورة ليست للجاحظ[15] .

وعلى ذكر الجاحظ وما نسب اليه من المصنفات ، لا بدّ من الاشارة الى ان الكتاب الذي نشره الاستاذ رمضان ششن بعنوان « كتاب أمل الأمل » منسوبا الى الجاحظ[16] ، ليس له . فمخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق وهي محفوظة بمكتبة ولي الدين بالاستانة برقم ٣٦٣١ ليس فيها اشارة الى اسم المؤلف أو تاريخ تأليفه . وقد شكّ محققه في نسبته للجاحظ لاختلاف الاسلوب ، رغم ان الجاحظ ألّف كتاباً اسمه « الأمل والمأمول » هو في الضائع من تراثه .

واضاف : لعلّ المؤلف هو الثعالبي ، أو رجل عاش في القرن الرابع الهجري .

ولقد توصل المحقق الثبت الدكتور جليل العطية الى مصنف هذا الكتاب ، واتضح انه محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي « من علماء القرن الرابع الهجري » . فمن مصنفاته موسوعة « المنتهى في الكمال » وتضم اثنى عشر كتاباً ، ذكرها النديم في الفهرست . وكتاب « الأمل والمأمول » هو السابع في الموسوعة[16] .

ويلاحظ هنا ان المصنف قد نصّ في خاتمة كتابه على ما يلي : « تم كتاب الأمل والمأمول » . ولكن محققه السيد رمضان ششن غير العنوان فجعله « أمل الأمل » وشتان ما هما . ومن النصوص التي نسبت لغير مؤلفها شرح لقصيدة الشنفري الشهيرة بلامية العرب ، طُبع بهامش شرح الزمخشري للقصيدة المذكورة والمسمى « أعجب العجب في شرح لامية العرب » المطبوع في القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ .

فقد نسب هذا الشرح للمبرد . وهذا وهم لأن الشارح يصرح في غير موضع من شرحه انه من تلامذة ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب . فكيف يصح أن يكون المبرد هو صاحب الشرح ؟!! وهل كان المبرد يوماً تلميذا لثعلب ؟!

وكما نُسب للجاحظ وللمبرد ما ليس لهما فقد نسب للثعالبي ما ليس له أيضاً ومثال ذلك كتاب « طرائف الطرف » ومنه مخطوطات في باريس ومكتبات كوبريلي وايا صوفيا وطوبقبوسراي ولالهلي وغيرها .

وقد صورت منه مخطوطة ولدى فحصها من الداخل وجدت مصنفها يقول : « فاني اردت أن اجمع طرفاً من الطرائف ... اكثرها لاهل العصر والتريبي العهد ممن ادركت زمانه وقرأت عليه ديوانه ، واودعتها [في] مقدمة الابواب في كل باب من شعر المتقدمين ... » ثم رأيت بين من اختار لهم شعراء لم يدركهم الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، كالابيوردي المتوفى سنة ٥٠٧ هـ والطغرائي المتوفى سنة ٥١٤ هـ وعمر الخيام المتوفى سنة ٥١٥ هـ والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وسواهم . وهو أمر يقطع بنسبة الكتاب الى غير الثعالبي .

ووجدت مخطوطة منه في دار الكتب المصرية نسبت الى البارع الهروي[17] ، فطفقت الاحق تراجم المذكور واخبار تصانيفه فثبت لي الاتي :

١ ـ ان البارع الهروي هذا هو : الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الدباس الهروي البغدادي المتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

٢ ـ نصّ ياقوت في معجم الادباء على ما يلي : قال : الفضلاء الملقبون بالبارع في خراسان ثلاثة ، أحدهم بالبارع الهروي ، وهو صاحب كتاب « طرائف الطرف » وهو أدونهم في الفضل مرتبة »[18] .

٣ ـ ان حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون قد وصف كتاب « طرائف الطرف » بما يلي : « مختصر على اثنى عشر بابا فيه الاشعار والامثال والحكم ، أوله : أما بعد حمد الله تعالى أولى ما افتتح به كلّ مقال الخ للبارع الحسين بن محمد بن عبدالوهاب الدباس البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٥٢٤ الهروي البغدادي »[19] .

ووصف حاجي خليفة لمحتويات الكتاب وأوّله يطابق تماماً المخطوطة التي بين أيدينا . وهكذا جزمنا بأن مصنف « طرائف الطرف » هو البارع الهروي البغدادي وليس الثعالبي .

وكان المستشرق « فلوجل » قد نشر في فينا عام ١٨٢٩ كتاباً للثعالبي بعنوان « مؤنس الوحيد » ، وهذا المطبوع في حقيقته قطعة من محاضرات الراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ . فهو ليس للثعالبي[20] ، ومما نُسب للثعالبي وهو ليس له كتاب « الفرائد والقلائد » ، الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ هـ منسوباً الى الثعالبي على هامش كتابه « نثر النظم » . ثم طبع منسوبا الى الثعالبي بعنوان « الامثال » في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ . وكان قد طبع بعنوان « أحاسن المحاسن » منسوباً الى علي بن الحسين الرفجي في القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ ضمن كتاب « خمس رسائل »[21] .

قال صديقنا الدكتور محمود الجادر : ان المخطوطات والطبعات الثلاث المذكورة هي بأجمعها كتاب واحد وقد تأكد لديّ بما لا يقبل الشك أنها جميعا ليست للثعالبي ، وانما لابي الحسين محمد بن الحسن بن احمد الاحوازي . والدليل القاطع على ذلك هو ان الثعالبي نفسه اورد في كتابه « سحر البلاغة » ذكر الاحوازي ونسب اليه ثلاثة وعشرين نصا وصفها بقوله : « ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الاحوازي في كتابه الفرائد والقلائد » . وقد وجدت هذه الاقوال الثلاثة والعشرين موجودة بأجمعها في المطبوع باسم الفرائد والقلائد المنسوب الى الثعالبي[22] .

نظير هذا الكتاب المعنون « مكارم الاخلاق » الذي نشره الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة المشرق ببيروت سنة ١٩٠٠ م منسوبا الى الثعالبي .

ان هذا الكتاب ليس للثعالبي ، فهو منتخبات من كتاب الاحوازي الذي تقدم ذكره وتمعنون « الفرائد والقلائد »[32] .

وفي دار الكتب المصرية مخطوطة بعنوان « درر الحكم » برقم ١٠٧ د أدب ، منسوبة للثعالبي ، وفي بخط أمير المحتاطين ياقوت المستعصمي فرغ منها سنة ٦٨١ هـ . وهذه النسبة مغلوطة إذ ورد في خاتمة المخطوطة ما نصه : تم المجموع بحمد الله وحسن توفيقه ، وفرغ من جمعه وكتبته ياقوت المستعصمي في رمضان سنة احدى وثمانين وستمائة للهجرة ... » . وكلمة (جمعه) تقطع كل شك في ان مصنف الكتاب هو ياقوت بالذات[33] .

في القاهرة بين عامي ١٩٣٦ - ١٩٣٨ صدرت الطبعة الاولى من ديوان ابي الطيب المتنبي بشرح ابي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، حققه ثلاثة من جلة علماء مصر هم : مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ، ثم صدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٥٦ .

وقد نهد المرحوم الدكتور مصطفى جواد لتفنيد نسبة الشرح الى العكبري ، فاستدل على ذلك بالآتي :

١ - ان شارح ديوان المتنبي درس الديوان على شيخه مكي بن ريان الماكسيني بالموصل سنة ٥٩٩ هـ وقرأه بالديار المصرية على الشيخ عبدالمنعم بن صالح التيمي . والماكسيني نحوي ضرير مشهور توفي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ ولم يكن شيخاً لابي البقاء العكبري في علم من العلوم ولا مسمعا له . أما عبدالمنعم بن صالح فكان علامة مصر في النحو ولد سنة ٥٤٥ وتوفي سنة ٦٣٣ فبالامكان من الناحية التاريخية أن يكون تلميذاً للعكبري المولود سنة ٥٣٨ هـ والمتوفى سنة ٦١٥ هـ ، ولا يجوز العكس ، ثم ان الشيخ عبدالمنعم لم يدخل العراق والعكبري لم يدخل مصر .

٢ - ثم ان شارح ديوان المتنبي قال في شرحه : فسمعت شيخي أبا الفتح نصرالله بن محمد الوزير الجزري يقول ... » وهو ابن الاثير المولود سنة ٥٥٨ هـ والمتوفى سنة ٦٣٧ هـ . وكيف يكون ابن الاثير شيخاً للعكبري وقد ولد بعده بعشرين عاماً ؟ وتوفي بعد وفاته بثلاث وعشرين سنة ؟!

٣ - في شرح بيت المتنبي :

يدبُر الملكَ من مصرٍ الى عدنٍ
الى العراق فارض الروم فالنوب

أشار الشارح الى امتلاك الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب لمدينة آمد في ارض الروم ، ومعلوم تاريخياً ان احتلاله اياها تم سنة ٦٣٠ هـ فكيف يذكر العكبري في شرحه حادثة وقعت بعد وفاته بسنوات طويلة ؟!

٤ - قال شارح الديوان في موضع من شرحه : « ونقلته بخطي » ونعهود ان العكبري كان ضريراً منذ الصغر ، والتعبير المذكور يشير الى عكسه ، اعني ان الشارح كان بصيراً ، فهو ليس العكبري .

٥ - وفي شرح الديوان ما يدل على ان الشارح دخل الموصل أو كان من اهلها وانحدر الى بغداد ثم ارتحل الى الكوفة وسافر الى بلاد الشام والحجاز والعكبري لم يكن من اهل الموصل ولا دخلها ولا دخل الكوفة .

٦ - والدليل الاخير ان لمؤلف الشرح كتابين في النحو هما : « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » ، ولم يذكر احد هذين الكتابين في تآليف العكبري .

تلك هي الادلة التي ساقها الدكتور مصطفى جواد في نفي كون الشرح للعكبري ، ثم استطاع بعد ذلك من خلال تعمقه في قراءة نص الشرح اكتشاف الحقيقة . قال : فقد جاء[في] الشرح في بيان قول المتنبي :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه
مثل الذي الافلاك فيه والدنا

قوله « قال ابو الحسن عفيف الدين علي بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل بالرفع ... » وهكذا كشف شارح ديوان المتنبي عن اسمه .

وعاج مصطفى جواد الى سيرة علي بن عدلان يستقريها في المصادر فوجده قد ولد بالموصل سنة ٥٨٣ هـ ودرس فيها الادب علي مكي بن ريان الماكسيني النحوي المشهور وقرأ عليه ديوان المتنبي وارتحل الى بغداد طلباً للعلم وهناك أخذ على ابي البقاء العكبري ، وسمع الحديث من جماعة ودرس فنون الاداب وأولع بحل المترجم والالغاز ثم ارتحل الى بلاد الشام ماراً بالكوفة ، ودخل حلب وكانت ملتقى العلماء والادباء وطلاب الحديث في اوائل القرن السابع واجاز له العلامة تاج الدين زيد بن الحسن الكندي ، وكان يلم بدمشق ثم يرجع الى حلب ، وقد رأى فيها جمال الدين ابن القفطي وياقوتا الحموي ، كما لقي ابن خلكان وصاحبه ، ثم قصد الديار المصرية ودرس على عبدالمنعم بن صالح التيمي الاسكندراني وقرأ عليه ديوان المتنبي ، وصار علامة في الادب ولغة العرب ، حاذقا في حل المترجم والالغاز ، وألف كتاب « عقلة المجتاز في حلّ الالغاز » وكتابا في « المترجم » صنفه للملك موسى بن العادل الايوبي وطار صيته ونظم الشعر ، وألف الشرح الجسيم لديوان المتنبي وسماه « التبيان في شرح الديوان » وهو ماخوذ من تسمية شيخه العكبري لاعراب القرآن ، بالتبيان في إعراب القرآن ، وألف في النحو « نزهة العين في اختلاف المذهبين » و « الروضة المزهرة » وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٦ هـ[34] .

وغنيّ عن البيان ان تفاصيل سيرة ابن عدلان تنطبق وما ورد من اخبار شارح الديوان تمام الانطباق .

وهكذا ردّ كتاب التبيان وهو انفس شرح لديوان المتنبي الى صاحبه ومؤلفه الحقيقي .

وبعد : فقد كنت قبل اعوام طوال قد نشرت مقالة في مجلة ـ المكتبة ـ العراقية[35] ، دعوت فيها صُنّاع فهارس المخطوطات الى فحص المخطوط من الداخل قبل فهرسته ، كي لا تضيع جهود طائلة وأوقات ثمينة في ملاحقة مخطوط وتصويره واحضاره ، حتى اذا ما فحصه المحقق من الداخل اتضح انه شيء آخر غير ما ذكر في الفهرست ، فتضيع جهود ويهدر مال ، ويقتل وقت ، ويموت أمل . وانتهيت الى القول : فليس من الفهرسة في شيء نقل ما كتب على صفحة العنوان وتعداد أوراق المخطوط وقياساته ونوع خطه . الفهرسة العلمية لا تقوم بغير دراسة النص من الداخل ، واستبطانه للوصل الى اسمه واسم مصنفه على وجه القطع واليقين ، لاوجه التقدير والتخمين ، بذلك تقضي الامانة العلمية .

كان ذلك في بواكير السبعينات ، واليوم ونحن على اعتاب التسعينات اكتب هذا موضحاً بالامثلة قاعدة مهمة من قواعد التحقيق العلمي ، ألا وهي قاعدة « توثيق عنوان المخطوط وتحقيق اسم مؤلفه » ، لينتفع به شبابنا المعتز بتراثه العربي الاسلامي ، الدارج على دروب العلم والمعرفة . والحمد لله على ما انعم انه نعم المولى ونعم النصير .

المصادر والمراجع

(١) القاها المستشرق الالماني بكلية الآداب سنة ٣١ـ ١٩٣٢ .
(٢) تحقيق النصوص ونشرها ص ٤٠ ـ ٤١ .
(٣) مجلة المجمع الاردني نيسان ١٩٨٣ ص ١٢٥ .
(٤) نشرت هذه المخطوطة ببغداد في مجلة المورد المجلد ٨ ، العدد ٢ ، ١٩٧٩ م .
(٥) نشرت هذا الكتاب في تونس سنة ١٩٦٧ .
(٦) نشر هذا الكتاب الدكتوران احمد مطلوب وخديجة الحديثي في بغداد سنة ١٩٦٧ . ونشره الدكتور حفني شرف بالقاهرة سنة ١٩٦٩ .
(٧) نشره السيد شاكر العاشور ببغداد سنة ١٩٨٩ .
(٨) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتورة وداد القاضي بعنوان « البصائر والذخائر » ، الجزء السابع . الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
(٩) نشرت هذه المخطوطة بتحقيق الدكتور جليل العطية في بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
(١٠) صدر توشيع التوشيح تاليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بتحقيق البير حبيب مطلق في بيروت سنة ١٩٦٦ .
(١١) حققه الدكتور سامي مكي العاني وطبعه في بغداد سنة ١٩٧٢ .
(١٢) صدرت هذه الرسائل ضمن منشورات جامعة الموصل ـ ندوة ابناء الاثير بتحقيق : د. نوري القيسي وهلال ناجي سنة ١٩٨٢ .
(١٣) نشرته مكتبة الخانجي في القاهرة في ١٩٢ صحيفة .
(١٤) نشر الميمني كتاب المداخلات في المجلد التاسع ص ٤٤٩ ـ ٤٦٠ الصادر سنة ١٩٢٩ من مجلة مجمع دمشق . وصدرت نشرة محمد عبدالجواد عن مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة سنة ١٩٥٦ .
(١٥) انظر تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ـ الترجمة العربية ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .
(١٦) صدر الكتاب بتحقيقنا في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي الصادر في كانون الثاني ١٩٨٢ م .
(١٧) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م بتحقيق الدكتور طارق الجنابي .
(١٨) نشرت هذا الكتاب في العدد الخاص بالخط العربي من مجلة المورد (العدد الرابع ـ المجلد الخامس عشر) الصادر سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م ، بغداد .
(١٩) انظر ما كتبته بهذا الشان في المجلد الثالث والعشرين ـ الجزء الثاني ص ١٢٨ ـ ١٢٩ من مجلة معهد المخطوطات العربية الصادر في نوفمبر ١٩٧٧ م ، ذو القعدة ١٣٩٧ هـ .
(٢٠) انظر المرجع السابق ص ١٢٩ ، وقد طبع مؤخراً كتاب نظم الفرائد وحصر الشرائد لمهلب بن حسن المهلبي بتحقيق الدكتور عبدالرحمن العثيمين .
(٢١) ذخائر التراث العربي الاسلامي ١ / ٤٢٠ .
(٢٢) ادب الجاحظ ص ١٥٣ .
(٢٣) الجزء الثاني من رسائل الجاحظ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .
(٢٤) انظر مقدمة المحقق الدكتور جليل ابراهيم العطية لكتاب « الحنين الى الاوطان » لمحمد بن سهل بن المرزبان ـ بيروت ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .
(٢٥) صدرت الطبعة الاولى من الكتاب في بيروت ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م .
(٢٦) الحنين الى الاوطان : محمد بن سهل بن المرزبان ؛ مقدمة المحقق ص ١٥ .
(٢٧) فهرس القاهرة ثاني ٣ / ٢٤٤ (كتبت سنة ٨٦٤ هـ) .
(٢٨) معجم الادباء (طبعة مرجليوث) ٢ / ٢٤١ .
(٢٩) كشف الظنون ٢ / ١١٠٩ ـ ١١١٠ .
(٣٠) انظر بروكلمان ـ الترجمة العربية ٥ / ١٩٥ ـ ١٩٦ وانظر « الثعالبي ناقداً وأديباً » .
(٣١) وذكر بروكلمان انه طبع في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ بعنوان « العقد النفيس ، ص ١٦٣ ؛ ونزهة الجليس » ٥ / ١٩٣ .
(٣٢) الثعالبي ناقداً وأديباً ص ١٦٤ .
(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
(٣٥) في التراث العربي : تاليف مصطفى جواد ٢ / ٢٣٩ ـ ٢٥٤ .
(٣٦) أعدت نشر هذه المقالة في كتابي هوامش تراثية ص ٣ ـ ٦ . بغداد ١٩٧٣ .